الإهـــداء

إلـى أمى . .

التـى علمتنـى القـرآن اسـتجابة لبشـرى

رؤيا صالحة حين الوضع أعُطيَت فيـها

دواة ولوحا وقيل لها: أقرئيه القــرآن . .

وفاءً ودعاءً

مقدمة الطبعة الثالثة

نحمد الله رب العالمين ، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين . .

أما بعد . .

فهأنذا أقدم الطبعة الثالثة من كتاب «الروح فى دراسات المتكلمين والفلاسفة»، شاكرا للقارئ الكريم حسن متابعته للكتاب، واهتمامه بقضايا الروح، وشغفه بعالم الملأ الأعلى . .

فى وقت طغت فيه المادة، وكادت تسلب الإنسان أعز ما يملك ، وأسمى ما به يتميز، وأكرم ما خصه الله تعالى به، ألا وهو العقل والروح والقلب والنفس.. لكن فطرة الإنسان تظل جذوتها متوقدة لا تطفأ ، قد تخبو حينا لتشتعل من جديد، ويزداد أوارها.. وما على المرء إلا أن يتعاهد نور الإيمان فى قلبه، ويواصل المجاهدة الكبرى فى نور الوحى والشرع، ويقظة العقل والفكر..

﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (التوبة : ٣٢)

ولعل كتابنا هذا أحد معالم الطريق ، يهدى الله تعالى به ، ويجعله خالصا لوجهه الكريم..

٢٠ من ربيع الأول ١٤٢٣هـ
١ - ٦ - ٢٠٠٢ م

أبو حذيفة
د . محمد سيد أحمد المسير
أستاذ العقيدة والفلسفة - كلية أصول الدين
جامعة الأزهر

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . .

أما بعد . .

فيسرنى أن أقدم للقارئ الكريم هذا الكتاب فى طبعته الثانية وقد دخلت عليه زيادات وتحقيقات، بدأت بالعنوان، وسرت فى بعض مباحثه..

لقد كان العنوان فى الطبعة الأولى « الروح بين الإسلام والفلسفة» ورأينا أن يصير العنوان «الروح فى دراسات المتكلمين والفلاسفة» لأن هذا العنوان الجديد أقرب إلى تصوير اتجاه البحث.

وقد جاء البحث - بتوفيق الله وفضله - على النحو التالى :

مدخل :

آثرت أن أبدأ بحثى عن الروح ببيان حكم الشرع، وذلك متوقف على فهم قوله تعالى :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1]

وذكرت خلاف العلماء حول هذه الآية . .

ما المراد بالروح المسئول عنها ؟

وما معنى كون الروح من أمر الله ؟

وما العلم القليل ؟

ورجحت أن المراد بالروح هنا هو القرآن المجيد ، وليس فى الآية ما يشير إلى تحريم البحث أو كراهته، وأيدت ذلك بالدليل .

تمهيد :

تحدثت فيه عن إطلاقات لفظ الروح فى اللغة والقرآن والفلسفة ، وحددت مفهوم الروح بأنه :

---

(١) سورة الإسراء آية ٨٥.

الجوهر الذى هو الإنسان فى الحقيقة بعيدًا عن البدن المادى المحسوس، والذى يناط به التكليف وعليه تقوم الحياة..

وجريت على استعمال لفظ الروح والنفس بمعنى واحد كما هو رأى جمهور الفلاسفة واختيار أبى حامد الغزالى وابن حزم الأندلسى، ثم هو وضع اللغة ، وقبل ذلك وبعده هو استعمال القرآن مثل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾[1]

وقوله سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[2]

ولما كان أهم ما يشغل العلماء فى مسألة الروح هو وجودها وخلودها فقد قسمت البحث إلى بابين...

الباب الأول : الروح فى الحياة الدنيا وفيه أربعة فصول . .

الفصل الأول : حقيقة الروح .

وسلكت فيه مرحلتين :

(أ) مرحلة النفى : وفيها تعرضت لآراء أولئك الذين يزعمون نفى وجود الروح أو يفسرونها تفسيرا يبطل وجودها المتفرد . .

(ب) مرحلة الإثبات : وفيها عرضت أدلة المثبتين للوجود الروحى المتميز.

وبعد ذلك استعرضت تصورات الوجود الروحى لدى الفلاسفة والمتكلمين ، وانتهيت إلى أن الحق الذى لا مرية فيه أن للنفس وجودا مغايرا للبدن المادى المحسوس وأن الدلائل الشرعية والبراهين العقلية قد تظاهرت إلى إثباته وأجمعت على وجوده . . وما وراء ذلك من اختلاف فى ما هية هذا الوجود هل هو مادى أم مجرد ؟ فشىء غير الاعتقاد الواجب، فلم يقم دليل قطعى على تجرد الروح كما أن أدلة القائلين بماديتها دون اليقين الصريح..

الفصل الثانى : نشأة الروح .

وقد استطلعت رأى الفلاسفة وبينت علاقة ذلك بنظرية العقول العشرة وأثبت تضارب رأى ابن سينا فى تلك النشأة ثم عقبت بمناقشة نظرية العقول مناقشة موضوعية أظهرت فيها فساد مبناها وسوء مسلك بعض المفكرين فى محاولة تبريرها إسلاميا .

---

(١) سورة السجدة آية ٩ .

(٢) سورة الزمر آية ٤٢ .

وانتقلت بعد ذلك إلى رأى المتكلمين وعرضت وجهة نظر القائلين بحدوثها قبل البدن أو بعده، وذكرت أدلة كل منهما ثم وقفت وقفة طويلة لمناقشة تلك المحاولة لإثبات ما يسمى « عالم الذر » استنادا إلى قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾[1]

وانتهيت إلى أن الآية تشير إلى ما أودعه الله فى كل إنسان من فطرة قبول الحق وإلى ما أرشدهم به من آيات الأنفس والآفاق ، وإلى ما ألزمهم به من الشرع وبعثة الرسل فذلك رأى كثير من السلف والخلف، بل من المفسرين من اقتصر عليه كالزمخشرى .

الفصل الثالث : الروح مع البدن .

وقد اخترت من علاقة الروح مع البدن جانبين حظيا باهتمام الفلاسفة والعلماء وهما :

(أ) المعرفة الإشراقية

ودرستها عند الفلاسفة والمتصوفة واتخذت من ابن سينا وابن طفيل نموذجين للفلاسفة، والغزالى والدكتور عبد الحليم محمود نموذجين للمتصوفة.. وكان لى مع كل منهم وقفة لوجه الله والحق .

(ب) الرؤى والأحلام

استعرضت أقوال الباحثين قديما وحديثا فى مسألة الأحلام وخاصة لدى مدرسة التحليل النفسى وجليت النظرية الإسلامية فى ذلك.

الفصل الرابع : الروح عقب الموت .

قد يبدو هذا العنوان للوهلة الأولى بعيدًا عن عنوان الباب « الروح فى الحياة الدنيا » ولكن إذا لاحظنا أنى تناولت فيه مبحثين هما :

(أ) عالم البرزخ .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٢.

(ب) تحضير الأرواح .

وأن عالم البرزخ قبل يوم القيامة وأن تحضير الأرواح محاولة من البشر في هذه الدنيا لاستراق السمع - أدركنا حينئذ صلته بالباب..

وقد استعرضت في المبحث الأول دلائله وآراء العلماء في حقيقته ورجحت رأى ابن حزم مع بعض تحفظات عليه ومع عدم إنكار لرأى الجمهور، فالكل محصور في دائرة الجواز العقلي وليست فيه استحالة بينه والمدار على النص الوارد وفهمه، ولكل وجهة..

وفي البحث الثاني تتبعت نشأة تحضير الأرواح وتطورها ومزاعم أربابها ثم عقبت على ذلك برفضها لتصادمها مع فكرة الثواب والعقاب الشرعيين وعزوتها إلى عالم الجن وحده فهو الذي يعيش حولنا ومكلف مثلنا ومنه الصالح والقاسط.

وبهذا ينتهي الباب الأول .

الباب الثاني : الروح في اليوم الآخر .

مهدت له بفذلكة[1] عن البيان الإلهي الأول لخطة بناء الحياة في قوله تعالى :

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ ﴾[2]

ووضحت أن العقيدة الدينية على مدار الرسالات الإلهية تتلخص في الإيمان بالله وتطبيق منهجه في الحياة والاستعداد ليوم الجزاء . . وبينت أن عقيدة البعث مرتبطة بالألوهية فلا بعث بغير إيمان بالله . .

---

(١) الفذلكة : الخلاصة.

(٢) سورة طه الآيات ١٢٣ : ١٢٧ ..

ثم فصلت مذاهب الفلاسفة والمتكلمين فى البعث وحقيقته على النحو التالى :

الفصل الأول : المذهب المادى. . وقدمت خلاصة لرأيه فى البعث وأردفتها بدفع الشبهات التى أثارها وركزت على النقاط التالية :

١ - إثبات الروح .

٢ - حقيقة الحقائق (وجود الله تعالى).

٣ - إمكان البعث .

٤ - حكمة البعث .

٥ - الدين والحضارة .

الفصل الثانى : مذهب الفلاسفة الإلهيين .

عرضت فيه رأى أفلاطون الإلهى باختصار، كمقدمة لاستطلاع رأى الفلسفة الإسلامية فى البعث ثم فصلت رأى ابن سينا تفصيلا تاما لأنه علامة القوم وطريقته أدق، ونظره إلى الحقائق أغوص كما يقول الشهرستانى وكل الصيد فى جوف الفرا..

ولقد ألقيت ضوءا كاشفا على الملحمة الفلسفية التى أثارها كل من الإمام الغزالى وفيلسوف قرطبة ابن رشد حول قضية البعث. . وانتهيت إلى أن البعث الروحانى المحض هو رأى الفلسفة الإسلامية، وحقيقته عودة الروح إلى تجردها عن علائق البدن واتصالها بعالم العقول.. وارتكز هذا القول على أساس من نظرية العقول العشرة، وترتب عليه محاولة تطويع النصوص الدينية لتحمل هذا الاتجاه..

وقد بينت رأيى فى كل من نظرية العقول وقضية التأويل..

الفصل الثالث : التناسخية .

وقدمت فيه معنى التناسخ فى اللغة والاصطلاح، ومن هم القائلون به من الفرق والنحل، وسقت بعض أدلتهم ورددت عليها ثم ناقشت رأيهم فى البعث بالتفصيل ووقفت وقفة مع قوله تعالى ﴿ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾[1] وهل يعد ذلك من التناسخ أم لا ؟ .

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦٥.

الفصل الرابع : مذهب المتكلمين .

بينت فيه رأى الجمهور ورأى المحققين ، وطريق إثبات البعث الجسمانى ودلائله وكيفية الإعادة وأثبت رأيى فى كل ذلك.

الفصل الخامس : منهج القرآن فى إثبات البعث ، حاولت فيه أن نقف خاشعين أمام الهدى الإلهى مستلهمين منهجه فى عرضه لعقيدة البعث والاستدلال عليها، بعد هذه الجولة الطويلة فى معترك المذاهب والآراء ، وقد أجملت هذا المنهج فى اتجاهات ستة ومثلت لها..

فإن أكن قد وفقت فذلك الفضل من الله وإن تكن الأخرى فحسبى أنى بذلت الجهد، وأعملت الفكر وأخلصت النية..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فى ١٥ من جمادى الآخرة سنة ١٤٠٨ هـ – ٣ من فبراير سنة ١٩٨٨ م

ابو حذيفة

د . محمد سيد أحمد المسير

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله «أعطى كل شيء خلقه ثم هدى»، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من لا ينطق عن الهوى، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار وأعلام أمته الأبرار..

وبعد..

فإن موضوع «الروح» قد شغل الفكر الفلسفي طوال عصوره التاريخية، وناله الكثير من الجدل والنقاش، وتعرض لحكم النفي والإثبات وهذا شأن مسائل الفلسفة مادامت تقوم على الخبرة الذاتية، والانطباع الشخصي، والتذوق الفردي.. وصدق الله حيث يقول:

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢).

ثم كان العلم الحديث، وتمكن من كشف كثير من نواميس الكون، وتحليل كثير من مظاهر الطبيعة.. ومع ذلك فقد ظلت هناك مغاليق لم يطرقها البحث العلمي بعد، بل هناك حقائق لا يتطاول العلم إلى الوصول إليها، حتى وإن حاول فسيرتد إليه الطرف خاسئا وهو حسير.

ولهذا آثرت أن أكتب عن «الروح» بادئا الرحلة من عالم المجهول حيث النشأة الأولى، ومصاحبا لها في حياتها مع البدن، وباحثا عنها في النشأة الأخرى بعد مفارقة البدن..

وقد حاولت أن أجيب عن تلك الأسئلة:

كيف نشأت الروح؟.

ومتى؟

وما علاقتها بالبدن حال الحياة؟

ومتى تنقطع تلك العلاقة؟

وما مصير كل من الروح والبدن؟.

ولم يكن ذلك رجما بالغيب وإنما هو النص الديني القاطع كما تحدث رب الآخرة والأولى وكما أوحى إلى عبده ما أوحى.. وقد ذكرت آراء الفلاسفة والعلماء في كل نقطة أثرت حولها البحث وعقبت على ذلك كله بما يبرز كلمة الحق ويدحض شبه المبطلين..

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

في ٢٩ من ربيع الأول ١٣٩٥هـ الموافق ١١ من أبريل ١٩٧٥ م **محمد سيد أحمد المسير**

مدخل:

حكم البحث فى الروح

حاول الإنسان - منذ وجد - أن يكتشف أسرار الكون، وقد استطاع بعد لأى أن يهتدى إلى كثير من خصائص الطبيعة وظواهرها مؤكدا حكمة الله «الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى».

ومع تمكن الإنسان - بما وهبه الله - من قهر العالم الطبيعى وتسخيره لخدمته فإن الظاهرة الإنسانية نفسها ظلت مغلقة عليه، مجهولة لديه قرونا متطاولة نظرا لتعقدها، وسرعة تغيرها، واختلافها من بيئة لأخرى، وتطورها من جيل لآخر.. ولهذا تعددت العلوم التى تدرس الظاهرة الإنسانية وتفرغت لدراسة كل جزئية على حدة فنشأت مجموعة من العلوم مثل:

علم النفس: الذى يهتم بدوافع الإنسان وغرائزه وعواطفه وأنواع سلوكه.

علم الاجتماع: الذى يشرح علاقة الإنسان بالآخرين.

علم الاقتصاد: الذى يتناول النشاط المادى للإنسان.

علم التاريخ: الذى يبرز ماضى الإنسان فردًا أو جماعة..

علم السياسة: الذى يركز على نشاط الإنسان المتصل بنظام الدولة والحكم.

علم الأخلاق: الذى يبين الفضيلة والخير والحق كى يلزم بها الإنسان.

وهكذا تواكبت العلوم لدراسة الظاهرة الإنسانية فى اتجاهات عدة، ومع التقدم العلمى الهائل ومع الخطى الحثيثة فى المكتشفات ومع كثرة التجارب وتنوعها فمازال هناك الكثير، والكثير جدًا، مجهولا وغامضا (وفوق كل ذى علم عليم).

ومن ذلك ظاهرة «الروح» وسر الحياة..

ما هو؟ وأين؟ ومن أين؟ وإلى أين؟.

وما كان لنا - نحن أبناء الأزهر الشريف - أن نسير فى هذا البحث دون سند دينى يؤيد خطانا ونستمسك به فى رأينا، ومن هنا ينبغى أن نبدأ البحث ببيان حكم الشرع فيه.

والجواب متوقف على فهم قوله تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1]

ما المراد بالروح المسئول عنها؟ وما معنى كون الروح من أمر الله؟ وما العلم القليل؟.

قال فى متن الجوهرة:

ولا نخض فى الروح إذ ما وردا ... نص من الشارع لكن وُجدا

لمالك هى صورة كالجسد ... فحسبك النص بهذا السند

وفى شرح هذين البيتين نجد الإمام عبد السلام اللقانى يقول:

«(ولا نخض) نحن معاشر جمهور المحققين فى بيان حقيقة (الروح) بجنس وفصل مميزين لها، لتعذر الوقوف عليهما لعدم ورود السمع بهما ولا يتلقيان إلا منه.

وأشار إلى علة النهى عن الخوض فيها على هذه الطريقة بأنه خلاف الأدب مع الشارع، حيث لم يبينها لنبيه ﷺ بقوله: (إذ ما وردا) أى عدم خوضنا فى بيانها على سبيل الندب، فالخوض فى بيان حقيقتها مكروه لعدم التوقيف فى ذلك، إذ هى من المغيبات التى لا تعرف إلا من قبل الشرع، ولم يرد (نص) أى دليل (من الشارع) وهو الله تعالى ببيانها، لأن نبينا ﷺ لم يبلغنا ذلك عنه، وكل ما هو كذلك فالأولى الكف عن الخوض فيه.

ولذا قال الجنيد: «الروح شىء استأثر الله بعلمه، ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه، فلا يجوز لعباده البحث عنه بأكثر من أنه موجود»[2].

وحكى الشيخ الباجورى فى شرحه على الجوهرة «أن كلام الجنيد يدل على الحرمة».

وقال الشيخ السهروردى:

«واعلم أن الكلام فى الروح صعب المرام، والإمساك عن ذلك سبيل ذوى الأحلام، وقد عظم الله تعالى شأن الروح، وأسجل على الخلق بقلة العلم حيث قال:

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

---

(١) سورة الإسراء آية ٨٥.

(٢) حاشية الأمير على شرح الشيخ عبد السلام على الجوهرة فى علم الكلام ص ١٣٤ ط المطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣٤٢ هـ

ثم قال الشيخ: وحيث أمسك رسول الله ﷺ عن الإخبار عن الروح وماهيته بإذن الله تعالى ووحيه، وهو صلوات الله عليه معدن العلم وينبوع الحكمة فكيف يسوغ لغيره الخوض فيه والإشارة إليه»[1].

فتحصل من هذه النقول أن هناك اتجاهًا فى الفكر الإسلامى يرفض البحث فى الروح تنزيهًا على سبيل الندب لأنه خلاف الأدب مع الشارع، أو تحريمًا لأنها مما استأثر الله بعلمه.

ولتوضيح سبب هذا النهى كما يفهم من الآية الكريمة نقول:

(أ) ذهب بعضهم إلى أن الأمر فى قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ بمعنى الشأن، والإضافة فيه للاختصاص العلمى، وليس الإيجادى لاشتراك الكل فيه..

فالمعنى أن الروح من جنس ما استأثر الله بعلمه، وتكون الإجابة عن سؤالهم بترك الجواب نهيًا لهم عن الخوض فيها..

(ب) ذهب آخرون إلى أن إجابة الله تعالى أوضحت أن الروح من عالم الأمر أى عالم المجردات التى لا تدرك، وليس من عالم الخلق أى المحسوسات التى يمكن تعريفها، وأن علم البشر قاصر على علم الخلق وهو ما يشير إليه قوله سبحانه ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

(جـ) قد يكون من مسببات النهى ما روى فى سبب النزول أن اليهود قالوا لقريش اسألوا محمدًا عن ثلاث، فإن أخبركم باثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبى، اسألوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح..

فسأل المشركون رسول الله ﷺ عن هذه الثلاثة، فقال ﷺ غدًا أخبركم، ولم يقل: إن شاء الله، فانقطع عنه الوحى فترة من الزمن ثم نزل بقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[2].

ثم فسر الوحى قصة أصحاب الكهف، وقصة ذى القرنين، وأبهم قصة الروح ونزل قوله تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

---

(١) عوارف المعارف للسهروردى بهامش إحياء علوم الدين للغزالى جـ ٤ ص ١٩٩ ط دار إحياء الكتب العربية.

(٢) سورة الكهف آية ٢٣.

ونحن نرى – مع كثير من العلماء سلفًا وخلفًا – أنه ليس فى الآية الكريمة ما يشير إلى تحريم البحث فى الروح أو كراهته، ودليلنا ما يلى:

١ – نحن لا ننكر أن هناك سؤالاً وقع عن الروح، فذلك منطوق الآية فضلاً عن كونه ورد فى بعض روايات صحيحة أخرجها البخارى ومسلم.. ومع ذلك فلم يتفق المفسرون ولا المحدثون على أن الروح المسئول عنها هى الروح الإنسانى.. وهاك ما قاله أحدهم:

واختلفوا فى الروح الذى وقع السؤال عنه، فروى عن ابن عباس أنه جبريل عليه السلام، وهو قول الحسن وقتادة.

وروى عن على أنه قال: ملك له سبعون ألف وجه، لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بكلها.

وقال مجاهد: خلق على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل ورءوس وليس بملائكة ولا ناس، يأكلون الطعام.

وقال سعيد بن جبير: لم يخلق الله تعالى خلقًا أعظم من الروح غير العرش، لو شاء أن يبتلع السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن لقمة واحدة لفعل.

وقيل: الروح هو القرآن.

وقيل: المراد منه عيسى، فإنه روح الله تعالى وكلمته ومعناه أنه ليس كما تقوله اليهود، ولا كما تقوله النصارى..

وقال بعضهم: هو الروح المركب فى الخلق الذى يحيا به الإنسان[1].

ولنا هنا ملاحظة، فكثير من هذه الآراء لا دليل عليها ولا مستند لها من الشرع.

٢ – إن تعليق إثبات النبوة على عدم الإجابة عن الروح كما قال اليهود لقريش – يبعد عقلاً، فإن الجهل بالشىء ليس دليلاً على صحة النبوة، وقد دار الكلام كثيرًا فى القرآن والحديث عن النفس وتعلقها بالبدن فى الحياة وبعدها، فكيف تروى هذه الأخبار الصحيحة ثم نقول إن الرسول ﷺ ما كان يعرف شيئًا عن الروح؟

ثم إن لنا وقفة مع سبب النزول، فالذى جاء فى صحيح البخارى هكذا:

---

(١) تفسير السراج المنير للخطيب الشربينى جـ ٢ ص ٣١٨.

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: بينا أنا مع النبى ﷺ فى حرث – وهو متكئ على عسيب[1] – إذ مرّ اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال ما رابكم إليه[2]، وقال بعضهم لا يستقبلكم بشىء تكرهونه، قالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبى ﷺ فلم يرد عليهم شيئًا، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامى، فلما نزل الوحى قال:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

ونلاحظ بعض الفروق:

– إن السؤال هنا وقع من اليهود فى المدينة، لكن الروايات الأخرى عن ابن عباس عند الترمذى وابن إسحق وغيرهما تنسب السؤال إلى المشركين فى مكة بتحريض من اليهود.

– إن الوحى – فى رواية البخارى – نزل على الرسول ﷺ عقيب السؤال مباشرة، لكن الروايات الأخرى تذكر انقطاعًا للوحى ثلاثة أيام أو خمسة عشر يومًا أو غير ذلك.

– لا نجد فى رواية البخارى ما يشير إلى أن الروح المسئول عنها هى أرواح بنى آدم، وإنما ورد السؤال عن الروح مطلقًا، فتحديدها بأرواح بنى آدم محل نظر ولا قطع فيه..

وإزاء هذا الاضطراب فى روايات الحديث رجح الأئمة رواية ابن مسعود على باقى الروايات لأنه كان حاضر الواقعة، ومال الإمام ابن حجر إلى الجمع فقال:

«ويمكن الجمع بأن يتعدد النزول، ويحمل سكوته ﷺ فى المرة الثانية على توقع مزيد بيان فى ذلك»..

ولكن ابن حجر تدارك الأمر فقال:

«وإن ساغ هذا فما فى الصحيح أصح»[3].

٣ – قال الإمام ابن القيم:

«وأكثر السلف بل كلهم على أن الروح المسئول عنها فى الآية ليست أرواح بنى آدم، بل هى الروح الذى أخبر الله عنه فى كتابه أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة وهو ملك عظيم..

وبعد أن ساق إحدى روايات البخارى قال:

---

(١) بوزن عظيم، وهى الجريدة من النخل التى لا خوص فيها.

(٢) من الريب وهو الشك.

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٨ ص ٤٠١ ، وأطراف الحديث فى مواضع متعددة فى صحيح البخارى فى ١٢٥، ٤٧٢١، ٧٢٩٧، ٧٤٦٢.

ومعلوم أنهم إنما سألوه عن أمر لا يعرف إلا بالوحى، وذلك هو الروح الذى عند الله لا يعلمها الناس.

وأما أرواح بنى آدم فليست من الغيب، وقد تكلم فيها طوائف من الناس من أهل الملل وغيرهم فلم يكن الجواب عنها من أعلام النبوة..» ثم ساق ابن القيم مجموعة روايات عن ابن عباس رضى الله عنهما ضعف بعضها مثل رواية السدى عن أبى مالك وقال: «مثل هذا الإسناد لا يحتج به.. وفيه أشياء منكرة..».

وحكم على بعض الروايات بالاضطراب مثل رواية داود بن أبى هند عن عكرمة، ورواية أبى بشر عن مجاهد، ورواية خصيف عن مجاهد، ورواية جويبر عن الضحاك، ورواية ابن جريج عن عطاء.. كلهم عن ابن عباس وقال:

«وقد اضطربت الروايات عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية أعظم اضطراب فإما أن تكون من قبل الرواة أو تكون أقواله قد اضطربت فيها»[1].

٤ – تكلم الأنبياء والعلماء فى الله عز وجل وصفاته العليا وأسمائه الحسنى وكمالاته المقدسة، وناقشوا المنكرين، وردوا الشبهات، وبحثوا فى الوجود والوحدانية والرؤية والكلام الإلهى، وغير ذلك من الواجب لله تعالى والجائز فى حقه سبحانه والمستحيل.. ولم نسمع أحدًا يعتد برأيه – يذهب إلى حرمة البحث فى الإلهيات أو كراهته، بل إن القرآن المجيد صريح فى حتمية العلم والمعرفة فى جانب عقيدة التوحيد، قال تعالى:

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾[2]. فهل الروح أعلى شأنًا أو أخفى معرفة؟!

نعوذ بالله من ذلك..

٥ – نقل الإمام ابن حجر:

«وقد خالف الجنيد ومن تبعه من الأئمة – جماعة من متأخرى الصوفية فأكثروا من القول فى الروح، وصرح بعضهم بمعرفة حقيقتها وعاب من أمسك عنها»[3].

واستدرك صاحب متن الجوهرة وأشار إلى أن علماء المالكية قد خاضوا فى بيان حقيقة الروح وعلق الشارح اللقانى فقال «وتخصيص أهل مذهب مالك بالذكر لأنهم أتقى أرباب المذاهب للشبهات، وأشدهم محافظة على النصوص الشرعية»..

---

(١) الروح لابن القيم ص ٢٢٥ : ٢٢٨ ط صبيح سنة ١٣٩٣ هـ

(٢) سورة محمد آية ١٩.

(٣) فتح البارى جـ ٨ ص ٤٠٤.

ثم قال: فلو كان الخوض فيها ممتنعا لم يقدم عليه مثل هؤلاء الأكابر[1].

٦ - لو كانت الروح مما لا سبيل إلى معرفته لقيل: قل إنما علمها عند ربى، كما قيل فى شأن الساعة..

وذكر الشيخ القاسمى فى تفسيره أنه لو لم يكن السبيل لمعرفة الروح ولو بوجه ما متيسرًا لكثير من الناس لم تكن هناك فائدة لأمره تعالى بالتفكير فيها، والتبصر فى شأنها للتوصل إلى معرفة الله تعالى، بل كان الأمر عبثا..

فدل قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ﴾[2].

وقوله تعالى:

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[3].

ونحو ذلك على أنها أمر تدركه العقول وبه يكون الوصول»[4].

الفهم الصحيح للآية الكريمة:

يمكن أن نفهم الآية الكريمة على أحد وجهين: الأول: إن السؤال كان عن حقيقة الروح الإنسانى، وهذا اختيار جمع من المفسرين، ولا حرج فى ذلك، فهو رأى من آراء، ليس أصحها ولا أقواها، وقد وصفه الإمام الرازى فى تفسيره بأنه الأظهر، فقال «للمفسرين فى الروح المذكورة فى هذه الآية أقوال، أظهرها أن المراد منه الروح الذى هو سبب الحياة..»[5].

ويفهم الجواب فى قوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ على احتمال من هذه الاحتمالات:

(أ) اكتفى الجواب بأنها من أمر الله أى فعله وخلقه وتكوينه، وقد جاء الأمر بمعنى الفعل فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾[6].

والروح نوع من العلم الخاضع للتحصيل، وفى تذييل الآية بقوله تعالى:

---

(١) حاشية الأمير (مرجع سابق) ص ١٣٤.

(٢) سورة الروم آية ٨.

(٣) سورة الذاريات آية ٢٠ ، ٢١.

(٤) محاسن التأويل جـ ١٠ ص ٣٩٨٤.

(٥) التفسير الكبير ج ٢١ ص ٣٧.

(٦) سورة هود آية ٩٧.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إشارة إلى ذلك، حيث إنهم أمة أمية، لم تتسع مداركهم لأكثر مما يحيط بهم من سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج..

وهذا هو ما حدث أيضًا حين سألوا عن الهلال، ما باله يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوى، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ، فاكتفى القرآن بأن أرشدهم إلى حكمة ذلك دون الإشارة إلى حقيقته، فقال:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾[1].

ومع ذلك لم يقل أحد إن البحث فى علم الفلك حرام أو مكروه..

(ب) يمكن أن نقول إن الآية الكريمة لم تذكر الجواب عن حقيقة الروح لأن سؤالهم كان على وجه التعنت والاستهزاء.

وكثيرا ما سأل المشركون عن أشياء أو طلبوا أشياء على وجه التعنت والاستهزاء فلم يجابوا إليها، وعلى سبيل المثال نقرأ قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ﴾

ماذا كان الجواب؟ ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[2].

(جـ) هناك اتجاه يرى أن الجواب قائم على إرشاد السائلين إلى أن مدخل معرفة الروح هو الشرع، وليس الفلسفة أو الرأى، وبالتالى فعليهم أن يؤمنوا أولا بالله ربا وبمحمد ﷺ نبيا ليهتدوا إلى معرفة الروح عن طريق ما جاء فى القرآن والسنة من أوصاف تتعلق بالروح فى نومها ويقظتها، فى حياتها ومماتها، فى نعيمها وعذابها، فى دنياها وآخرتها.

قال الإمام السهيلى توضيحا لهذا الرأى:

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٩.

(٢) سورة الإسراء آية ٩٠ ، ٩٣.

«فمن دخل فى الشرع وتفقه فى الكتاب والسنة عرف الروح، فكان معنى الكلام: ادخلوا فى الدين تعرفوا ما سألتم عنه، فإنه من أمر ربى أى من الأمر الذى جئت به مبلغا عن الرب»[1].

الثانى: إن المراد بالروح فى الآية الكريمة الوحى بالقرآن، وقد اهتم به الإمام الرازى ولم يبد عليه اعتراضا، وساق أدلته وأردفها بعبارات موحية، فأحيانا يقول: واللائق بالروح المسئول عنه فى هذا الموضع ليس إلا القرآن..

وفى عبارة أخرى: وجب أيضا أن يكون المراد من هذا الروح القرآن حتى تكون آيات القرآن كلها متناسبة متناسقة.. فى الوقت الذى عرض فيه الإمام الرازى مطاعن وجهت للرأى القائل بأن الروح هى مابه الحياة أو ملك من الملائكة هو أعظم قدرا وقوة، أو خلق على صورة بنى آدم[2].

وقد جعل الشيخ القاسمى تفسير الروح فى الآية الكريمة بالقرآن متعينا.. وهذا ما نختاره لما يلى:

١- إن القرآن سمى روحا، كما فى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾[3].

فالقرآن حياة البشر أفرادا وجماعات، وبه سعادتهم فى الأولى وكرامتهم فى الآخرة.

٢ — إن سابق الآية، وعلى مدى أكثر من عشر آيات متتالية يدور حول نعمة القرآن، وضرورة تمسك الرسول وتنسكه به مهما بلغ استفزاز المشركين فإن الباطل زهوق، والقرآن شفاء للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا.

ولنقرأ قوله تعالى:

﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾[4]

---

(١) نقلا عن سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد للإمام الصالحى جـ ٣ ص ٥٦٥ تحقيق الأستاذ عبد العزيز عبد الحق ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٣٩٥ هـ.

(٢) راجع التفسير الكبير جـ ٢١ ص ٣٨: ص ٤٠.

(٣) سورة الشورى آية ٥٢.

(٤) سورة الإسراء الآيات: ٧٣ — ٧٥.

٣ – إن لاحق الآية وعلى مدى عشر آيات أخر يدور حول معجزة القرآن وتحديه للإنس والجن، كما يبين عنت المشركين واستهزاءهم بالقرآن وطلبهم معجزات مادية حسية.

ولنقرأ قوله تعالى:

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[1]

٤ – وردت آيات أخرى تحمل نفس المعنى وهو تساؤل المشركين عن حقيقة القرآن، ومدى صدقه، وتنبئ عن ارتيابهم فيه.. مثل قوله تعالى:

﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾[2].

فالضمير فى قوله أحق هو – راجع على أرجح الأقوال إلى القرآن المجيد، قال الإمام الرازى: «واختلفوا فى الضمير فى قوله أحق هو، فقيل أحق ما جئتنا به من القرآن والنبوة والشرائع ، وقيل ما تعدنا من البعث والقيامة، وقيل ما تعدنا من نزول العذاب علينا فى الدنيا»[3].

ومثل قوله سبحانه:

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾[4]. والنبأ العظيم هو القرآن وقد تساءلوا عنه هل هو شعر؟ هل هو سحر؟ هل هو كهانة؟ هل هو أساطير الأولين؟!.

ومن هنا فإن معنى آية الإسراء أن الناس تساءلوا عن القرآن، وحاروا فى أمر الظاهرة القرآنية، واختلفوا فى تفسيرها وتعليلها مع ما صاحبها من نبوة محمد بن عبد الله ﷺ ذلك النبى الأمى.

---

(١) سورة الإسراء الآيات: ٨٦ – ٨٨

(٢) سورة يونس آية ٥٣.

(٣) التفسير الكبير جـ ١٧ ص ١١٦.

(٤) سورة النبأ الآيات: ١ – ٣.

فأجابهم الله تعالى بأن القرآن وحى منزل من الله عز وجل، والعرب يومئذ قوم جاهليون، لا عهد لهم بالعلوم والمعارف فضلا عن الوحى وخصائص النبوة، وهو ما يشير إليه التذييل بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أى معرفتكم قاصرة ومداركم محدودة، وما عليكم إلا أن تسموا بها عن ربقة التقليد والتعصب البغيض ولذا كان من الآيات اللاحقة لآية الروح قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾[1]».

(١) سورة الإسراء آية: ٨٩.